

الفصل الثالث

الناس تحتاج إلى !!

١٦- أشعر الآخرين بأهميتهم

١٧- إمدح على قليل الصواب

١٨- ساعد الناس ولو بالرأى

١٩- إقض حوائج الناس

٢٠- إحترم وجهة نظرهم

٢١- أدخل السرور على من حولك

٢٢- أكفل يتيما

(١٦) أشعر

أشعر الآخرين بأهميتهم، فما من إنسان يا بني إلا يحب ويتمنى أن يشعره الناس بأهميته، وما من قوة تحرك الجبال وتدفع الرجال والنساء إلى تحقيق الآمال وبلوغ الأهداف أكثر من شعورهم بتقدير الآخرين.

إن الخطوة الأولى على هذا الطريق يا بني أن تشعر أنت بتقديرك لنفسك وبقيمتك في الحياة، ثم تقوم ببث هذا الشعور الإيجابي بين الناس، وتذكر أن:

(فاقد الشيء لا يعطيه، وأن المهزوم من الداخل لا يستطيع منح الثقة للآخرين).

إن الشائع في حياتنا هو أن نشعر من فوقنا بقيمتهم وقدرهم، وهذا يفعله العامة راغبين أو راغمين صادقين أو منافقين، أما الرائعون في هذه الحياة هم من يستطيعون فعل ذلك مع من دونهم، وتخيل يا بني وأنت مدير لشركتك أو رئيس لمجلس إدارتها، وقد خرجت من مكتبك متوجها إلى سيارتك ويتبعك ساعي المكتب حاملا حقيبتك وأنت تقول له: أنت إنسان جميل يا عم فلان، بارك الله لك ولأبنائك، ومتعك بالصحة والعافية والسعادة والبركة والستر والرضا.

إن كل لحظة سعادة يشعر بها هذا الساعي رقيق الحال ستعود أضعافاً مضاعفة

إلى صاحبها، وسيكون هذا الرجل أمينًا مخلصًا في عمله متقانيًا في أداء واجبه .

اسمع يا بني هذه القصة الجميلة من الأدب الهندي:

كان لحامل ماء في بلاد الهند جرتان كبيرتان معلقتان على طرفي عصا يحملها على رقبته، وكانت إحدى الجرتين مشققة بينما الأخرى سليمة تعطي نصيبها من الماء كاملاً، بعد نهاية مشوار طويل من النهر إلى البيت، أما الجرة المشققة فكانت دائماً ما تصل في نصف عبوتها، واستمر هذا الحال يومياً، وكانت الجرة السليمة فخورة بإنجازاتها التي صنعت من أجلها والجرة المشققة خجلة من علتها وتعيسه لأنها تؤدي فقط نصف ما يجب أن تؤديه من مهمة، وبعد مرور فترة من الزمن من إحساسها بالفشل الذريع خاطبت الجرة حامل الماء عند النهر قائلة: " أنا خجلة من نفسي وأود الاعتذار إليك إذ أنني كنت أعطي نصف حمولتي بسبب الشق الموجود في جنبي، والذي يسبب تسرب الماء طيلة الطريق إلى منزلك، ونتيجة للعيوب التي أعاني منها فإنك تقوم بالعمل بجهد واجتهاد ولا تحصل على حجم جهدك كاملاً .

شعر حامل الماء بالأسى حيال الجرة المشقوقة وقال في غمرة شففته عليها: عندما نعود إلى منزل السيد أرجو أن تلاحظي تلك الأزهار الجميلة على طول الممر. وعند عودتهما إلى البيت لاحظت الجرة المشقوقة بالفعل أن الشمس تأتي من خلال تلك

الأزهار البرية على جانب الممر، وقد أثلج ذلك صدرها بعض الشيء، ولكنها شعرت بالأسى عند نهاية الطريق حيث إنها سربت نصف حملتها واعتذرت مرة أخرى إلى حامل الماء عن إخفاقها والذي قال بدوره: "هل لاحظت وجود الأزهار فقط في جانبك من الممر، وليس في جانب الجرة الأخرى؟ ذلك لأنني كنت أفهم القصور الذي كنت تعاني منه وقد زرعت بذور الأزهار في جهتك من الممر وعند رجوعي يوميًا من النهر كنت تعملين على سقيها، وكنت أنا أقطف هذه الأزهار الجميلة لتزيين المائدة، ولو لم تكوني كما كنت لما كان هناك جمال يزين هذا المنزل، فشكرته الجرة على كرم أخلاقه وحسن تعامله مع العيوب الموجودة فيها .

إن كانت الأيام عصبية فلا
يأس ... فإنه بإمكانك أن
تجعلها أفضل

توماس كارليل

انظر يا بني كيف كانت الجرة المشقوقة في هذه القصة الرمزية قد اعترفت بعيوبها – وكلنا له عيوب – إلا أن حامل الماء كان يدرك أهمية إشعار الآخرين بقيمتهم، فكانت كلماته تضيئًا لجراح الجرة وثناء على جهدها في إمداد البذور بالمياه لتنتب الزهور الجميلة التي كانت على جانبي الممر حتى وإن كان ذلك دون قصد منها .

البشر من حولنا يا بني ونحن منهم كلنا له جانب في حياته أو جوانب يشبه إلى حد كبير الجرة المشقوقة، ولا بد لنا أن نتعلم كيف نستفيد منهم مع أخطائهم ونتعامل معهم رغم زلاتهم ونحصل منهم على أفضل ما يمكن بمساعدتهم على ذلك .

(١٧) امدح

امدح على قليل الصواب يكثر من الممدوح الصواب ولا تنتظر ممن حولك المعجزات والأمور العظيمة حتى تبدأ في الثناء عليهم، واعلم يا بني أن الإنسان مجبول على حب المدح، فعندما يسألك أحدهم: ما رأيك فيما قلته أو فيما فعلته أو فيما أردتيه، فإنما هو يقصد طلب المدح وليس طلب الرأي والمشورة، وفهمك لهذه الحقيقة يسهل لك فهم الناس وحسن التعامل معهم والاستحواذ على قلوبهم .

المدح يختلف عن النفاق والتملق فأنت ستنتظر إلى ما يستوجب المدح من قول أو فعل، أو حتى صمت فلا بد أن تجد عند كل إنسان ما يستحق المدح عليه.

إن المدح على الأشياء البسيطة ينمي للممدوح الثقة بنفسه ويدفعه إلى تكرار العمل الجيد والتوقف عن الأعمال الرديئة، ويزيد من شعوره بتقدير الآخرين له، وفي نفس الوقت فإن المردود على القائم بالمدح يكون عظيماً بقدر ما أدخل السرور على من حوله .

لقد تعود كثيرون في مجتمعاتنا على عدم الثناء على الآخرين خوفاً من الرياء وآخرون يمتدحون بلا مناسبة فيقعون في المحذور .

وضع نصب عينيك دائما قول الحق ﷻ: (وقولوا للناس حسنا) .

إن الكلام الحسن يتضمن كل ما هو جميل، ويتعد عن كل ما هو قبيح .

واسمع يا بني ما قاله العابد الزاهد يحيى بن معاذ من الحكم العظيمة:

ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال لتكون من المحسنين:

• إحداها: إن لم تنفعه فلا تضره.

• والثانية: إن لم تسره فلا تغمه.

• والثالثة: إن لم تمدحه فلا تدمه .

إن هذه القاعدة يا بني ليست قاصرة على أحد، بل هي للوجود كله، فتذكرها مع والديك ومع أبنائك وأصدقائك وزوجتك ومديرك وموظفيك، الكل في هذه القاعدة سواء .

عندما أذهب إلى العمل كل صباح كنت أقابل الرجل المسئول عن السيارات في شارعنا وهو عم كمال ذلك الرجل صاحب الابتسامة الصافية، فكنت أبدأ حوارا معه بتحية الصباح، ثم أقول له جملتي المعتادة: ربنا يمتعك بابتسامتك الجميلة دائما، ثم أتابع قائلا له: لو أن الموظفين في الحكومة والمديرين يعلمون سر الابتسامة لكانت

الدنيا أجمل وأروع، ولهانت المشاكل والأزمات، ثم أمزح معه قائلاً له: إيه رأيك يا عم كمال لو تحضر معي البرامج التدريبية للمديرين والقادة لتعلمهم كيف تكون الابتسامة والطموح والأمل؟! أنت فعلاً رجل رائع ونموذج جميل.

ومرت الأيام والسنون، وإذا بهذا الرجل يقابلني متهللاً قائلاً لي: بفضل تشجيع الأعبة لقد أنهيت دراستي في الثانوية العامة هذا العام، وانتسبت لكلية الحقوق بجامعة عين شمس. فقلت له في اندهاش: ألف مبروك، ولكن ما الذي دفعك فجأة إلى استكمال الدراسة، وقد جاوزت الخمسين من العمر؟! فقال لي: إن كلماتي وكلمات بعض المحبين له كانت تولد لديه شعوراً متنامياً بالقيمة وسؤالا ملحاً، وهو لماذا يتميز عليه هؤلاء الجامعيون على الرغم من امتلاكه لهذه الابتسامة وذلك النشاط، فقرر أن يكون مثلهم بل يسعى لأن يتفوق عليهم، ومرت الأيام وأنا أسأله دائماً عن أحواله كيف يحضر المحاضرات وكيف يذاكر على الرغم من انشغاله الدائم في تنظيم السيارات وهو عمل بدني شاق للغاية؟ فأجابني بابتسامته المعهودة: لما يكون فيه حد زي حضرتك دائم التشجيع لنا تبقى الأمور سهلة وممتعة جداً .

اليوم يا بني وصل عم كمال إلى السنة الثالثة وقد حصل على تقدير جيد في السنة الثانية، وأنا أتوقع له أن يحصل على تقدير جيد جدًا في السنة الثالثة والرابعة، ولا أبالغ إذا قلت لك أن هذا المكافح سيكون أقرب الخريجين إلى الماجستير والدكتوراه .
انظر يا بني إلى مفعول السحر لكلمة المديح الصادقة والتقدير الحقيقي وكيف تؤتي ثمارها في كل حين .

(١٨) ساعد

ساعد الناس، ولو بالرأي والمشورة فإن هذا أبسط العطاء، ومعظم البشر في هذه الحياة يحتاجون إلى النصيحة الحكيمة والدعم والتأييد، ودائمًا ما أسأل المتدربين في البرامج التدريبية عن مدى طلب الآخرين لرأيهم ومشورتهم فإن كان ذلك قليلا أو نادرًا فأنت في حاجة إلى مراجعة حياتك لأن هناك شيئًا ما خطأ .

ولكي تكون دائمًا أنت الجوهرة التي يبحث عنها الجميع للحصول على الحكمة والرأي والمشورة إليك بعض هذه الخطوات التمهيدية التي ستحتاج إلى التدريب عليها وهي:

- ١- طالما قررت المساعدة بهذه الطريقة فاترك المجال للشاكي يتحدث كما شاء ولا تقاطعه .
- ٢- اجلس قريبًا منه واستخدم لغة الجسد المناسبة في الاستماع – سأذكرها تفصيلا في أحد فصول الكتاب، واقترب منه أكثر إذا خفض صوته لأنه بذلك إنما يدعوك للقرب منه .

- ٣- لا تبدي دهشة كبيرة مما يقوله لك إلا إذا لاحظت عبارات الدهشة في عينيه فهو حينها يرسل لك رسالة أنه هو شخصياً مندهش مما قال أو فعل.
- ٤- إذا حددت له موعداً فلا تظهر له استعجالك، وحاول التركيز على النقاط الرئيسية في حديثه إلا إذا كان يريد الشكوى بمعنى الفضفضة فاسمح له بالتفريغ الكامل للحالة العاطفية حتى يرتاح ويهدأ.
- ٥- لا بد أن يشعر بأن موضوعه هام جداً حتى لو يكن كذلك، فكل إنسان يشعر دائماً بأن مشكلته من أكبر مشاكل الكون .
- ٦- إياك أن تشعره بأنك أنت الحكيم اللبيب الفطين فهو قد اعترف بذلك مقدماً عندما طلب منك الرأي والمشورة .
- ٧- حاول التعرف سريعاً على ردود أفعاله من إجاباتك حتى تفهم شخصيته وبذلك تستطيع الوصول لأفضل الطرق في عرض رأيك ووجهة نظرك
- ٨- النقطة التي فهمتها جيداً اسأل بشأنها أسئلة مغلقة والنقاط التي لم تفهمها جيداً فاسأل بشأنها أسئلة مفتوحة .
- ٩- لا تعط أبداً وعداً بالحل، ولكن عد ببذل قصارى جهدك ومحاولة الوصول لأفضل الحلول الممكنة .

- ١٠- اشرح للسائل بصورة سريعة جداً مخاطر المبالغة والتعميم والقفز إلى استنتاجات خاطئة وهي السم الزعاف في الحياة .
- ١١- توصل بسرعة أثناء بدايات حديثه إلى خارطة الطريق بين سبب المشكلة وآثارها أو الفكرة التي أدت إلى حدوث الفعل .
- ١٢- لا تبدأ الحوار بالحديث عن الصبر والثواب والعقاب، ولكن ابدأ معه بأن روعة الحياة ليست في عدم وجود مشكلات، ولكنها تكمن في التغلب على هذه المشكلات .
- ١٣- ابتعد عن المثالية غير الواقعية في طرح الحلول .
- ١٤- وضح للسائل أثر قوة النية في التوصل إلى الحلول والثقة بأن هذا الكون العظيم يدار بواسطة من لا يغفل ولا ينام وهو قيوم السماوات والأرض، هو القاهر فوق عباده، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

١٥- لا تقم معه بدور الفيلسوف الأوحـد الذي لديه العصا السحرية لحل كل المشكلات، وتجاوز جميع الأزمات، وألمح له أنك في مرات كثيرة عندما تواجهك مشكلة فإنك تحتاج إلى شخص طيب واع مثله لكي تطرح عليه مشكلتك ليساعدك بأرائه وأفكاره .

١٦- اجعل أفكاره دائماً تتجه إلى الفكرة الرائعة التي تصلح حياة الكثيرين وهي أن الحياة سباقات قصيرة متتابعة وليست ماراثون طويل. الذين يفكرون في الحياة على أنها ماراثون طويل يسقطون إذا تجاوزهم الآخرون بمسافات كبيرة حيث لا أمل في اللحاق بهم، أما الذين ينظرون للحياة على أنها سباقات قصيرة متتابعة فإنهم يستطيعون كل يوم شحذ طاقتهم لبداية سباق جديد والفوز في يوم جديد بعد خسارة سباق الأمس .

١٧- إياك من إيفاده الثقة في نفسه، وضع خطوطاً فسفورية تحت المواقف التي تصرف فيها بشكل جيد حتى توظف قدراته الذاتية للتصدي للمشكلة .

١٨ - استخدم القصص القصيرة في نفس الموضوع بدلا من مواجهته بحل معين أو حقيقة واقعة فتكون لست أنت من تقول، ولكن القصة هي التي ترشده .

كن محايدًا إذا اشتكى لك من أحد ممن تعرفهم أو لا تعرفهم، ولا تتطوع بتأجيل المشاعر وتجييش العواطف ضدهم فقد ينتهي الأمر بعودة المياه لمجاريها مع من اختلف الشاكي معهم وتصبح أنت عدوًا للاثنتين .

(١٩) اقض

"اقض حوائج الناس، وتفقد أحوالهم ما دمت مقتدرًا" قالها الإمام علي كرم الله وجهه لجابر بن عبد الله الأنصاري: "يا جابر، من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فإن قام بما يجب لله فيها عرضها للدوام والبقاء، وإن لم يقم فيها بما يجب لله عرضها للزوال".

إن الدنيا بزينتها وغرورها تخرجنا أحيانًا من ذواتنا، وتملك زمامنا، وتسيرنا كيفما تشاء، ولذلك أدعوك أن تكون يقطًا، فإذا أنعم الله عليك بمنصب أو جاه فاجعل منه نصيبًا مفروضًا لخدمة الناس وقضاء حوائجهم والتواضع لهم، فذلك هو السبيل الوحيد لدوام نعمة الله عليك، ويمكن أن تربطها بفكرة زكاة المنصب والجاه حتى لا تظن أنها نافلة تفعلها إذا رغبت وتمتنع إذا شئت، بل تذكر دائمًا حديث النبي ﷺ: "من نَقَسَ عن مسلم كربة من كرب الدنيا نَقَسَ الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يَسَّرَ على معسر يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم في الدنيا ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه".



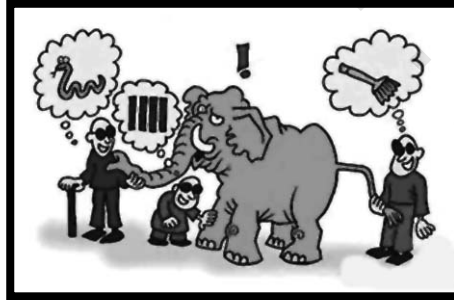
إن المنصب يا بني لا يمنع الإنسان من خدمة الناس، ولكنه الشيطان يأبى كل ما يقربك من ربك عز وجل، واسمع مني هذه القصة الطريفة التي يرويها عمر بن الخطاب رضي الله عنه روى ابن القيم في كتاب روضه المحبين ونزهة المشتاقين أن عمر رضي الله عنه كان يتفقد أبا بكر بعد صلاة الفجر، فكان يراه إذا صلى الفجر يخرج من المسجد إلى ضاحية من ضواحي المدينة كل يوم فيتساءل: ما له يخرج؟ ثم تبعه مرة من المرات فأتى، فإذا هو قد دخل خيمة منزوية، فلما خرج أبو بكر دخل بعده عمر، فإذا في الخيمة عجوز كسيرة كسيرة عمياء معها طفلان لها، فقال لها عمر: يا أمة الله، من أنت؟

قالت: أنا عجوز كسيرة عمياء في هذه الخيمة مات أبانا (عائل الأسرة)، ومعني بنات لا عائل لنا إلا الله عز وجل. قال عمر: ومن هذا الشيخ الذي يأتكم؟ (وهي لم تعرفه) قالت: هذا شيخ لا أعرفه يأتي كل يوم فيكنس بيتنا ويصنع لنا فطورنا، ويحلب لنا شياهنا. فبكى عمر رضي الله عنه وقال: أتعبت الخلفاء من بعدك يا أبا بكر.

(٢٠) احترام

احترم وجهة نظر الآخرين، فقد يكونون على حق وأنت على باطل، وقد يكونون يرون الأمور من زاوية أخرى غير التي ترى أنت الموضوع من خلالها فيكون كلاهما على صواب .

يحكى أن ثلاثة من العميان دخلوا على فيل، وقيل لكل منهم: صف لنا الفيل، فقال الأول: الفيل هو أربعة أعمدة على الأرض. وقال الثاني: الفيل يشبه الثعبان تماماً ولكنه معلق. وقال الثالث: الفيل يشبه المكنسة الكهربائية. هل كان أحد الثلاثة صادق وآخر كاذب؟ بالطبع لا ... ولكن كل منهم كانت له وجهة نظر مختلفة لأن الأول أمسك بأرجل الفيل، والثاني أمسك بخرطوميه، والثالث أمسك بذيله، وهكذا وجهات نظرنا جميعاً في الحياة .



وتذكر يا بني ما كان يقوله الشافعي رحمه الله عندما يختلف مع الآخرين: " رأي الشافعي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غير الشافعي خطأ يحتمل الصواب ".
إن اختلاف وجهات النظر في الحياة هو سنة من سننها، وأحد قوانينها، واسمع لقول الحق سبحانه: (وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ^(١)).

بعد انتهاء غزوة الأحزاب وهزيمة المشركين وعودته ﷺ إلى المدينة وضع سلاحه واغتسل، فقد أراد تأجيل تأديب بني قريظة لوقت آخر بعد أن يسترد الصحابة أنفاسهم، فأتاه جبريل وقد عصب رأسه الغبار، فقال للنبي ﷺ: وضعت السلاح؟ فوالله ما وضعته. فقال رسول الله ﷺ مستفسراً: " فأين؟ ". قال جبريل: ها هنا. وأوماً إلى بني قريظة، فخرج إليهم رسول الله .

ويروي أنس رضي الله عنه: كأنني أنظر إلى الغبار ساطعاً في موكب جبريل حين سار رسول الله إلى بني قريظة .

وهنا أمر النبي الصحابة بالتحرك إلى بني قريظة، وكان أمراً جازماً فلا بد من تأديب هذه الفئة الخائنة، فقال رسول الله ﷺ للصحابة رضوان الله عليهم: " لا يصلين

¹ سورة هود، آية ١١٩ .

أحد العصر إلا في بني قريظة". فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك، فذكر ذلك للنبي ﷺ فلم يعنف واحداً منهم .

إن النبي ﷺ يا بني كان يعلمنا درساً عظيماً في تقبل اختلاف وجهات النظر واحترام آراء الآخرين طالما أن في الأمر سعة، وأن المسألة لا ترتبط بالثوابت .
لقد فهم بعض الصحابة كلام النبي ﷺ على أنه نوع من الحث على السرعة وليس مطلوباً لذاته، ولذلك فعندما أدركهم الوقت وخافوا من فوات الفريضة صلوا العصر .
وأما الفئة الأخرى فقالوا: هذا أمر من النبي ﷺ فلا بد من تنفيذ الأمر بدقة
لقد كان كلا الفريقين واثقاً من صحة توجهه، فلما عرض الأمر على النبي ﷺ لم يعنف أحداً وأجاز الفريقين .

هكذا الحياة يا بني، يختلف الناس كذلك، ويظن كل طرف أنه على حق .

ونصيحتي التي أقدمها إليك هنا هي أن الحوار له ثلاث دوائر.

الأولى: هي دائرة المتحدث، سنسميها (أنا)

الثانية: هي دائرة المخاطب، وسنسميها (هو) أو (هي)

الثالثة: هي دائرة شخص محايد، وسنسميها (المراقب)

إذا أردت يا بني أن تكون على مستوى رائع من فهم الحياة والخلافات بين البشر وإيجاد حلول سريعة وجيدة للمشكلات بين الأطراف فعليك التدريب المستمر على

رشاقة الحركة بين هذه الدوائر؛ لأن كل دائرة تعطيك ثلث الحل فقط .

الخارطة ليست هي الواقع،

ولكنها وجهة نظر

صاحبها.. إننا لا نرى

الحياة على طبيعتها،

ولكننا نراها وفق ما تراه

أعيننا وما تظنه عقولنا.

المشكلة الكبيرة جدًا التي تواجه البشر هي أننا

نتعامل بشكل جيد ومتقن مع الدائرة الأولى، ولا

نعلم كثيرًا عن الدائرتين الثانية، والثالثة فتكون

النتيجة النهائية بالطبع هي الرسوب في اختبارات

الحوار وأدب الاختلاف في الحياة .

(٢١) أدخل

أدخل السرور على من حولك واسمع لقول الحبيب ﷺ: " إن أحب الأعمال إلى الله سرور تدخله على مسلم، تكشف عنه كرباً، أو تقضي عنه ديناً، أو تطرد عنه جوعاً". .

يعد الإحسان أكثر من
إخراج المال للفقراء،
ولكنه بذل قلوبنا
ووقتنا وطاقتنا لإنارة
حياة الآخرين سواء
كانوا أغنياء أم
فقراء، فإذا لم يكن في
قلبك إحسان فأنت
تعاني من أسوأ
مشكلة تصيب القلب.

بوب هوب

إن إدخال السرور على من حولك هو فن يحتاج إلى تدريب فلا بد أن تكون أنت أولاً من المتفائلين وإلا فإن فاقد الشيء لا يعطيه، والمسألة ليست إعانة الناس بالأموال، بل بكل ما يحتاجون إليه، فالناجح يحتاج شيئاً ما يختلف عن الذي يحتاجه الراسب، والكبير يحتاج شيئاً ما يختلف عما يحتاجه الصغير، والزوجة تختلف عن الأم، ومهارتك يا بني أن تعطي كلا منهم ما يسعده، ولكي تعلم على وجه اليقين هل أنت صاحب مهارة في ذلك أم لا يمكن أن

تسأل نفسك سؤالًا واحدًا هو:

هل يقول الناس: الحمد لله ويشعرون بالارتياح عندما أدخل عليهم أم يقولونها
عندما أغادرهم؟

وتذكر يا بني أن السعادة مادة مشعة، فإذا ظهرت في مكان فإنها تسعد الجميع،
وأن مساهمتك في إدخال السرور على من حولك ستكون أنت أعظم المستفيدين منه
في الدنيا والآخرة .

إن الهالة التي حول الشخص السعيد يشعر بها الجميع، وكثيرًا ما نذهب إلى أماكن
معينة ونخرج منها في حالة مزاجية سيئة دون أن نعلم سببًا منطقيًا لذلك، والعكس
صحيح نذهب إلى مكان آخر ونخرج منه في حالة مزاجية رائعة!! السبب هو حالة
الناس في المكان وليس المكان نفسه، وقديمًا قالوا: إن من جاور السعيد يسعد، وها
هو العلم الآن يكشف لنا عن السبب.

٢٢ - اكفل يتيمًا

اكفل يتيمًا لكي تضمن بإذن الله عز وجل مقاما رفيعا إلى جوار النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة . فقد قال في حديثه الشريف: "أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين"، وأشار بأصبعيه السبابة والوسطى، وفرج بينهما .

إن كل أعمالنا الجميلة السهلة والصعبة التي نقوم بها في الدنيا لها أهداف قصيرة المدى وأهداف بعيدة المدى، وما أجمل الأعمال البسيطة السهلة التي تحقق خيري الدنيا والآخرة، فالحلم الجميل بالتواجد في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر هو بكل تأكيد يستحق التضحية بكل غال ونفيس، فما بال الوعد الذي يعدنا به الذي لا ينطق عن الهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأننا إذا كفلنا يتيمًا فإننا سنكون إلى جانبه لتكتمل الفرحة والروعة، ما أسهل العمل وما أجزل العطاء فاجعل هذا هدفاً ثميناً، وصوب عليه طوال الوقت .

لم يزل الله عز وجل يذكرنا دائماً في كتابه العزيز بمشاهد القيامة حتى نرى ونتوقع كيف ستكون الصورة هناك، إن الله يذكر شدة الموقف يوم القيامة فيقول سبحانه:

(يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد)

هذا هو المشهد يوم القيامة، فكيف النجاة ؟

هناك العديد من الطرق التي تؤدي إلى النجاة، سأذكر لك الآن أحد أكثر هذه الطرق وضوحاً وروعة، اسمع معي ما يقوله لك الله عز وجل:

ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً إنما نطعمكم لوجه الله (لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً)

تذكر دائماً أن

رأس اليتيم هي كنز الحسنات
فلا تدع يتيماً يمر أمامك إلا أن
تمسح على رأسه، ثم تحتسب
ذلك عند الله عز وجل .

لماذا كانوا يفعلون ذلك ؟

(إننا نخاف من ربنا يوماً عبوساً
قمطيراً)

ماذا كانت النتيجة؟

(فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة سرورا وجزاهم بما صبروا جنة
وحريراً)

العمل واضح والهدف واضح والنتيجة ثابتة يقينية، ولكن انتبه جيدا إلى كلمة على حبه، فإذا كنت تريد ضمان النتيجة بإذن الله فتأكد من أمرين:

الأول: هو جملة (على حبه)

الثاني: هو جملة (لا نريد منكم جزاء ولا شكورا)

هذه هي الضمانات التي تحقق الهدف.

أما الأهداف قصيرة المدى فهي الاطمئنان والراحة والسعادة في الدنيا .

يروى أبو الدرداء أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو قسوة قلبه ؟ فقال له الحبيب صلوات ربي وتسليماته عليه: "أحب أن يلين قلبك وتذكر حاجتك ؟ ارحم اليتيم وامسح رأسه وأطعمه من طعامك يلن قلبك وتذكر حاجتك".

مرة أخرى .. ما أسهل العمل وما أجزل العطاء وما أروع النتيجة، فأحكم قرارك وصوب تسديداتك تبلغ أهدافك وهنيئا لك .

وقال صلى الله عليه وسلم: "من مسح على رأس يتيم لا يمسه إلا الله كان له بكل شعرة حسنة " .

لقد أثبت العلم أثر المسح على رأس اليتيم على الصحة النفسية له .

في الحرب العالمية الثانية تم تخصيص عنابر للأطفال اليتامى الذين فقدوا والديهم في الحرب، ولاحظ الأطباء أن أحد العنابر يتمتع عن غيره بصحة جيدة للأطفال على المستويين البدني والنفسي، وقام الأطباء بمحاولة التوصل إلى السبب في ذلك على الرغم من تطابق الرعاية الطبية والظروف العامة في كل هذه العنابر .

بعد مزيد من المراقبة لهذا العنبر وجد الأطباء أن الفارق الوحيد هو هذه المرأة العجوز التي كانت تأتي كل صباح فتقوم بمسح رؤوس الأطفال وتقبيلهم، وفهم الأطباء بمزيد من البحث أثر هذه اللمسات والمسحات الطيبة على الأطفال، وها هو النبي صلى الله عليه وسلم يخبرنا بما يفيد الطرف الآخر الذي لمسح على رأس اليتيم في الدنيا والآخرة .